مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

التعامل بين الزوجين في الشريعة الإسلامية(دراسة تحليلية وتطبيقية على مجتمع ولاية الخرطوم)

عواطف أحمد الإمام[1]

عفاف محمد حسن بادي[2]

المستخلص :

هدفت هذه الدراسة إلى قياس التعامل الزواجي ، وأثره على الاستقرار الأسري بولاية الخرطوم ،و إلى تبيّن الآثار السلبية التي تواجه الأسرة بسبب التعامل السلبي ، الذي يؤدي بدوره لعدم التوافق، كما هدفت إلى تسليط الضوء على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، التي تحثعلى التعامل بالمعروف. واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي .وتكمن أهمية الدراسة ضمان استمرارالزواج والاستقرار الأسري؛ إذ يعدالتعامل أو لقياس حقيقي للعلاقة بين الزوجين، كماأن أهمية هذا البحث تتجلى في إلقاء الضوء على التعامل بين الزوجين وتأثيره على الاستقرار الأسري، والتعرف على طبيعة العلاقة الزوجية والاختلافات المتباينة في أساليب التعامل وتأثيره الاجتماعي . ولقياس فرضيات الدراسة تم جمع البيانات من عينة لمجتمع الدراسة بولاية الخرطوم باستخدام استمارة لقياس أساليب التعامل بين الزوجين وأثره على الاستقرار الأسري . وبالنظر لأثر الاستقرار بين الزوجين استخدمت الدراسة بياناً تحليلياً ؛ فتوصلت هذه الدراسة إلى عدت نتائج منها : توجد علاقة مباشرة ما بين أساليب التعامل السلبي بين الزوجين وعدم الاستقرار النفسي، كما توجد علاقة ارتباطية بين أسلوب التعامل الايجابي والتوافق الزواجي . كما أن سعادة واستقرار الزوجين منوط بالتعامل الإيجابي بينهما. وخُتمت الدراسة بتوصيات أهمها ضرورة اتباع منهج النبي ﷺ في التعامل الزوجي حتى تغدو الحياة الزوجية كما أراد لها الخالق عز وجل تنعم بالمودة والرحمة والاستقرار. نشر ثقافة الإعتذار والاحترام والتسامح ، فهذه المقومات تمثل لنا أهم أركان التعامل الإيجابي بين الأزواج ؛ وذلك من خلال إقامة محاضرات وندوات ومسلسلات إذاعية وتلفزيونية تسهم في الحد من حالات الطلاق التي تحدث بسبب التعامل السلبي بين الزوجين.

ABSTRACT:

This study targeted to measure marital interaction and its impact on family stability in state of Khartoum The importance of study is to ensure the continuation of marriage to achieve family stability DealingIs the first real measure of relationship between the spouses، it's also aimed to identify the negative effects facing the family due to passive handling which in turn executed compatibility ' and to highlighter the Qurarithe verses and prophetic traditions that call to urge the handling of good .

This study was based on the analytical descriptive approach، And the importance of this research is reflected in shedding light on impact of interaction between spouses and to identify the nature of mental relations and differences in different ways of dealing and social impact The study hypotheses were collected from the sample for the study community in Khartoum state using form to measure the methods of dealing between spouses given the effect of stability between the spouses the study used an andytical statement and it results were found:- There is a direct relationship between the methods of

dealing negatively between spouses . There is also correlation between positive coping and manital compatibility . Also the happiness and stability of spouses are bound of the need for appositive of most important need to follow the prophets approach in dealing couples until marriage becomes creator wanted to enjoy the site and stability spreading a culture of apology respective and Tolerance .These elements represent the most important elements of positive interaction between spouses ، through the holding of lectures ، seminars . and radio series that contribute to reducing the divorce case that occur because of the negative interaction between spouses .

الكلمات المفتاحية:

المودة والرحمة – التواصل الفكري – المشاعر الإيجابية – الأثار السلبية

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يمثل التعامل الزوجي هدفاً رئيساً ومهماً؛ لتحقيق استقرار الحياة الزوجية ، والتي يسعى اليها الأزواج والمختصون في هذا المجال، ولكي تتحقق أهداف الزواج لابد أن تشيع فيه المودة والرحمة ، ولابد أن يكون سكناً نفسياً للزوجين، والزواج الناجح لابد أن يتوفر فيه عدد من المعايير المهمة ، أهما التعامل الإيجابي بين الزوجين، الذي نستطيع أن نقول: إنه نمط من أنماط التفاعل الثنائي الذي يشدّد على التواصل المتكرر بين طرفي العلاقة الثنائية؛ الذي يتمثل في الاحترام والتسامح، فالأفراد الذين يرتبطون بعلاقات حميمة –أي الزوجين–تنمو بينهم أنماط متجانسة من العلاقة التي تلح على أسلوب التعامل المباشر، وعلى المظاهر اللفظية وغيراللفظية في الاتصال " كتعابيرالوجه والجسم، ونبرة الصوت، ونظرة العينين". فالتوافق الزوجي كما تؤثرفيه أساليب المعاملة بين الزوجين؛ تؤثرفيه سمات الشخصية لكل منهما، فكلما كانت شخصيتاهما متقاربتين حساً وعقلًا وانفعالاً، ومتصلتين اجتماعيًا ودينياً ؛ ساعدهما ذلك على التكيف مع الحياة الزوجية [1]، والدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه؛ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"[2] وقال أيضاً"

فاظفر بذات الدين[3] تربت يداك " [4] .

أهمية البحث:

تعالج هذه الدراسة موضوعاً في غاية الأهمية؛ إذ تتجلى أهميته لما هو واقع ومعاش في زمننا هذا الذي كثرت فيه المتغيرات المعاصرة والمعوقات والتحديات؛ لذا كان من الضروري التركيز على بيان مخاطر التعامل السلبي بين الأزواج الذي يؤثر بصورة مباشرة على الاستقرار الأسري، وكيفية قياسه والوسائل التي يمكن اتخاذها للحيلولة دون مخاطره .

والتعرف على طبيعة العلاقة و أساليب التعامل بين الزوجين وعلاقته بالتوافق والاستقرار الأسري، حتى يمكّن المهتمين بقضايا الزواج والأسرة من وضع برامج توجيهية و إرشادية وعلاجية لتقريب وجهات النظر بين الأطراف ، ولكي تساعد هذه الدراسة في

([1]) كاوجة محمد الصغير(2014م) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تمثلات التوافق الزوجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية والخلافات الزوجية، العدد 16، جامعة الجزائر، ص245.

(2) صحيح البخاري ، كتاب النكاح، باب : عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، حديث رقم 5120 ، ج2 ص 567.

([3]) المراد بالدين : الطاعات والأعمال الصالحة، والعفة عن المحرمات ، تربت يداك : أي سلبت منه البركة إذا لم يتزوج ذات الدين – المجموع للنوي ج17 ص387.

([4]) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب : الأكفاء في الدين ، حديث رقم 5090 ، ج2 ص561.

الوصول إلى استنتاجات للتعامل الزوجي والأسري عند التخطيط لبرامج خدمية يستفيد منها المجتمع.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفع الباحثتين لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب توضح أهمية البحث:

أولاً: إن مواضيع الزواج والأسرة من الأمور المهمة في حياة المسلمين وتجد الاهتمام الأكبر من قبل المهتمين بهذا الشأن.

ثانياً: رفد المكتبة الإسلامية ، ببحث وضع فيه دراسة تعنى بالجانب الفكري والجانب الاجتماعي للمحافظة على الأسرة واستقرارها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي :

1- تسليط الضوء على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحتوي وتدعو الأزواج على التعامل الإيجابي وبيان أهميته في الحياة الزوجية .

2- بيان مدى معرفة الأزواج بالأسلوب الأمثل لحل الخلافات وأُسس التعامل الزوجي.

3- الإسهام في الحد من الخلافات الزوجية التي تحدث بسبب التعامل السلبي بين الزوجين.

مشكلة البحث:

تمت دراسة التعامل بين الزوجين عل أساس تفصيلي وتعريفي وتطبيقي، وتوضيح بيان الأبعاد الدينية والفكرية الاجتماعية لهذه الدراسة .

ومن هنا وضعت الباحثتان عدداً من التساؤلات يمكن من خلالها صياغة فرضيات الدراسة وهي:

1- مامفهوم االتعامل الزواجي ؟ وما أهميته بين الزوجين؟

2- ما هو اسلوب التعامل بين الزوجين وفقاً لما جاء في الكتاب والسنة؟.

3- هل التعامل السلبي هو السبب الرئيس لعدم الاستقرار الأسري ؟ وذلك من خلال دراسة واقع المجتمع السوداني في التعامل بين الزوجين.

تمهيد:

التعامل الإيجابي بين الزوجين ، هو : أساس نجاح الحياة الزوجية والأسرية ، ولقد جاء الإسلام بمنهج كامل للحياة عامة وللحياة الزوجية خاصة، ووضع آداباً للتعامل بين الزوجين ، بأن حدد الحقوق والواجبات اللازمة على كل من الزوج والزوجة ، بالمساواة بين الطرفين بما يتناسب مع طبيعة كل منهما التي فطرهما الله سبحانه وتعالى عليها .يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [5].فالزوجان هما النواة الأولى للمجتمع الذي نعيش فيه ، فمنهما تتكون الأسرة ، ومن خلالهما يجب أن يكون الأسلوب الأمثل في حُسن التعامل الزوجي؛ وهو أسلوب المودة والرحمة الذي دعا له الإسلام؛ لكي يتحقق الترابط أوالانسجام النفسي والاجتماعي بينهما ، والآية تعضد ذلك المعنى إذ جعلته آية من آيات الله في الكون ؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [6]. فنعمة الله تتحصل "بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة والسكينة بين الزوجين، فحصل به الاستمتاع والسكون إلى الزوجة ، والمنفعة بوجود العيال وتربيتهم، فلا نجد بين إثنين في الغالب مثل ما بين الزوجين من الإلفة والمودة والرحمة مقرونة بالخُلق الحسُن ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه لذلك؛ فقال:" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً وخيركم خيركم لنسائهم"[7]،وقال عليه الصلاة والسلام : "إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله "[8]وقال رسولنا الكريم : "إن من

([5])سورة الذاريات،الآية 49 .

([6]) سورة الروم،الآية21 .

([7]) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي،سنن الترمذي،كتاب الرضاع باب : ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم 1162ج2 ص 457.

(8) سنن الترمذي، حديث رقم 2612 ج4 ص 305.

أخيركم أحسنكم خُلقاً[9] فنلاحظ أن النبي ﷺ جعل حسُن الخُلُق مرتبط بالإيمان وبالتعامل الحسُن. فالزواج علاقة ممتدة يجب أن تتوفر فيه ثلاثة عوامل أساسية يمكن أن تشير لنجاح كبير و لضمان استقراره واستمراره على المودة والرحمة وهي: الوضوح و الصراحة في التعامل، ثم التنازل من جانب الطرفين للسيطرة على حدوث أي مشكلة . ثم الرجوع إلى دين الحق والاحتكام إليه في المواقف. فالزوجة وصُيت بطاعة زوجها بالمعروف ووعدها الله الجنة إن أرضته كما جاء في الحديث لقوله ﷺ: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها كما عظم الله من حقه عليها"[10]، لكنه اكراماً للمرأة لم يأمرها بالسجود وإنما كان الحديث لتقريب الفهم لأي مدى وصيت المرأة بإرضاء زوجها . و بالمقابل وصُي الزوج باكرام زوجته، قال عليه الصلاة والسلام:" إنما النساء شقائق الرجال ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم" [11]. فإكرامها يعني احترامها وعدم اساءتها أو التقليل من شأنها. وعلى الزوجين أن يذكرا دائماً الخشية من الله في تعاملهما، ويراعيا الانصاف والحق بينهما.

تعريف مفهوم التعامل:

التعامل في اللغة: يقال عاملت الرجل، أعامله معاملة، والمعاملة في كلام أهل العراق والحجازيين؛ هي المساقاة [12]. المعاملة مصدر عامل، التي تدل على كل فعل يفعل، يقال عمل يعمل عملاً،فهو عامل ويقال إعتمل المرء إذا عمل بنفسه[13].

تعاملا: عامل كل منهما الآخر [14]. والمعاملة هي التصرف[15].

التعامل في الاصطلاح: هو الموقف الثابت الصادق الذي يتخذه الشخص أثناء تعامله مع سائر المعاملات على ما يكفل الرفق بالمتعاملين، وأن يفي الشخص ما أبرمه من عهود وعقود مع الآخرين مع الرفق بهم، والإحسان إليهم، والحلم معهم[16].

التعامل يعني: التعامل بالمعروف وبالحسنى؛ هو الأساس لاستدامة الحياة[17].المعاملة هي: الإنصاف من نفسك ؛ أي معاملة غيرك بالعدل والقسط ؛ بحيث تحكم له على نفسك بما يجب له [18].

مفهوم التعامل بين الزوجين:

انطلاقاً من مفهوم التعامل بين الزوجين ، هنالك خصائص وحقائق وأمور لابد من معرفتها؛ وعلى ضوئها تكون منهجاً لمسيرة حياة الزوجين معاً ، ومن أهم الأمور وتعزيزها : ينبغي على الزوج والزوجة ، فهم ومعرفة كل منهما الآخر، ولعلهما يدركان أن

(9) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، صحيح البخاري كتاب الأدب باب: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، حديث رقم 6029 ج 3ص 144

(10) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة ، ج1ص595 ح1852، سنن الترمذي كتاب النكاح ، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة ، ج2ص456ح1159،صحيح ابن حبان ،باب: معاشرة الزوجين ، ذكر تعظيم الله جل وعلا من حق الزوج على زوجته، ج9، ص47ح4162،السنن الكبرى للبيهقي ،باب : ما جاء في حق عظم الزوج على المرأة ، ج 7 ص 291.

(11) سنن أبي داود، كتاب الطهارة باب : في الرجل يجلد البلة في منامه ،حديث رقم 236، ج 1 ص61.

(12)ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري(2009م) ، لسان العرب ، ط2، ج11، باب العين ، فصل اللام مادة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 568.

(13) ابن فارس، أبو الحسن بن فارس ابن زكريا(1991م) مجمع مقايس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، مأخوذ من مادة "ع م ل" دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 144.

(14) شوقي ضيف(2005م) ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،ص 628.

(15) بطرس البستاني(2009م) ، باب العين ، ط1، ج6، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص 311.

(16) منقذ بن محمود السقار(2009م) الدين المعاملة ، رابطة العالم الإسلامي ، ص59.

(17) أبو مصطفى بن العدوى(د.ت) فقه التعامل بين الزوجين، مكتبة مكة طنطا ، مصر، ص 14

(18) المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج الدين(1256هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1،ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص 644.

الاختلاف في طبيعة تكوينهما يدعوهما إلى التفاهم والتعاضد والمصارحة ؛ ليتمكنا من العيش معاً ، وأن يتفهم الرجل نفسية المرأة و يتعامل معها وفقاً لتركيبتها الرقيقة الحساسة الشفافة ، كما وصفهنَّ رسول الله ﷺفقال:" رفقاً بالقوارير"[19]وكذلك على المرأة أن تدرس وتفهم تركيبة الرجل النفسية وفقاً لذلك.

ومن الحقائق والأمور في الحياة الزوجية التي يجب أن يعيها كلا الزوجين، أنها حياة لابد أن تعتريها بعض المشكلات، وأن نعلم يقينا أن هذه الحياة الدنيا لابد من منقصات وابتلاءات تعتري الفرد، فالإيمان الصادق والرضى التام بقضاء الله وقدره ؛ إنه يحفظ للمؤمن والمؤمنة الاتزان النفسي والتماسك والثبات، وبهما لا ينفلت ضبط الإدراك الواعي، وزمام التفكير الرشيد وذلك ؛ لأن الايمان الحق يصدر عن التسليم لرب الخلق، مدبر الأمر وكاشف الكرب الموفق والمعين، ومن أجل هذا كان من علامات الإيمان الشكر لله في الرخاء والصبر عند البلاء والرضى بالقضاء .

تأكيد الشريعة على حُسن العِشرَة بين الزوجين:

العلاقة بين الزوجين علاقة في غاية الأهمية، عُني الإسلام بتوثيقها، وعمل على بقائها واستمرارها، وأكد على ضرورة المحافظةِ على هذه الرابطة، وحضّ الزوجين على الحرص على تنميتها وديمومتها. ولذلك نجد أن حُسن العشرة[20] بين الزوجين من أهم الركائز التي يؤكد عليها الدين الحنيف، وينتج عنها عيش الأسرة في ود وسلام وصفاء ووئام، فالتعامل بالمعروف وبالحُسنى ؛ هو الأساس لاستدامة الحياة الزوجية ، وفق ما جاء في الكتاب والسنة ، فقد أمر الله تعالى بإحسان معاشرة النساء في كتابه العزيز[21]، فيقول سبحانه وتعالى﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [22].

ماذا تعني حُسن العِشرَة[23]: تعني أن يكون كل من الزوجين ، مطالباً بإحسان الصلة بالطرف الآخر ، حتى يسود الأسرة جو من التواد والتراحم والتعاون، لكي يتحقق مقصد هذه العلاقة [24] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [25] .

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله:" وعاشروهن بالمعروف"، خالقوا، أيها الرجال، نساءكم وصاحبوهن بالمعروف، يعني بما أمرتكم به من المصاحبة، وذلك: إمساكهن بأداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهنّ عليكم إليهن [26].جاء في تفسير القرطبي : " وعاشروهن بالمعروف"، أمر اللَّه سبحانه بحسن صحبة النّساء إذا عقدوا عليهنَّ لتَكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنَّفس وأهنأ للعيش. وهذا واجبٌ على الزوج. قال بعضهم: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له. على ما أمر الله به من حُسن العِشرَة ، والخطاب للأزواج، وليس الزوجات، وألا يعبس في

([19]) صحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب: في رحمة النبي ﷺ، حديث رقم 2323 ج4، ص1811 .

([20])العِشرَةُ : المخالطة والممازجة ، قَالَ طَرَفة:ولَئِنْ شَطَّتْ نَوَاهَا مَرَّةً، ... لَعَلَى عَهْدِ حَبِيبٍ مُعْتَشِرْ(لسان العرب، لابن منظور ، باب الراء ، فصل العين المهملة ، ج4 ص 574.

([21]) فقه التعامل بين الزوجين ، مرجع سابق ، ص14.

([22]) سورة النساء، الآية 19.

([23]) العِشرَةُ : المخالطة والممازجة قَالَ طَرَفة:ولَئِنْ شَطَّتْ نَوَاهَا مَرَّةً، ... لَعَلَى عَهْدِ حَبِيبٍ مُعْتَشِرْ (لسان العرب ، لابن منظور ، باب الراء، فصل العين المهملة ، ج4 ص 574)

([24]) الدعوة وأحوال المسلمين – الأسرة ، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية ص18.

([25]) سورة الروم، الآية 21.

([62]) الطبري، محمد بن جرير(2000م) جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر،ج8، ط1، مؤسسة الرسالة، ص 121.

وجهها ، وأن يكون منطلقاً في القول لا فظاً و لاغليظاً ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها.[27]

فالمعاشرة بالمعروف : هي الصحبة الجميلة بين الزوجين ، فعلى كل من الزوجين معاشرة صاحبه بالمعروف ، وأن يكف كل منهما عن الآخر أذاه ، وأن يفي كل واحد منهما بذل ما يجب لصاحبه من الحق عليه من غير مطل ولا اظهار للكراهية عند أدائه ، بل يبذله ببشر وطلاقة ولا يتبعه منًا ولا أذى وهذا من المعروف المأمور به[28]، ويقول سبحانه وتعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [29] .

قال ابن عباس: أي : لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن[30].

فإن قاعدة التعامل بين الزوجين ليس أساسها العواطف والمشاعر فقط ؛ وإنما أساسها الدين والخُلق، لذا جعلتهما الشريعة الإسلامية هما المقياس الشرعي للقبول عند الزواج فمنها تنبثق قاعدة التعامل بالمعروف .

فكل هذه الأقوال صحيحة وتصب في نفس الاتجاه، فهؤلاء الفقهاء يختلفون في اللفظ ويتفقون في المعنى و يؤكدون على حُسن معاشرة النساء بالمعروف.

الأسلوب الإيجابي للتعامل بين الزوجين:

المنهج النبوي في التعامل الزوجي:

حديثنا في هذا المقام عن زوجٍ ، لا ككل الأزواج ؛ بل عن أفضل الأزواج عليه الصلاة والسلام . فكيف كان ﷺ يتعامل مع زوجاته وأهل بيته ؟ وعلى قدر عظمة الشخصية تكون الوقائع والأحداث.

لقد كان رسول الله ﷺ مثلاً أعلى لحُسن التعامل والعدل بين زوجاته، وحسن معاملتهن ، كان يعاملهن بكل حب ورفق في أسمى وأرقى صورة ، وكيف لا يكون وهو ميزان للكمال ، كان من أخلاقه عليه الصلاة والسلام ،أنه جميل العشرة ، لطيفاً في المداعبة مع أهل بيته، كان إذا شربت إحدى زوجاته من الإناء أخذه فوضع فمه في موضع فمها وشرب ،وكان يتكئ في حجر عائشة ويقرأ القرآن، ويوسعهم نفقة و يضاحك نساءه ويمازحهن [31].

فحديثنا في هذا المقام عن معاملة النبي ﷺ مع نسائه وأهل بيته ، وهذا نموذج لكل زوج لا يعرف قيمة رباط الزوجية الوثيق . فالواجب علينا التعرف على هديه ﷺ ثم العض عليه بالنواجذ في مختلف أمور الحياة والتي تتعلق بالحياة عامةوالزوجية والأسرية خاصة . ويدفعنا إلى تلمس هذا الهدي ، إيماننا على أن هديه ﷺ هو أفضل نموذج وضعه الله نصب أعيننا وطالبنا باتباعه والسير على منهجه ، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [32] .إنناندو من خلال هذا الفصل أن ننتقل بمنهج النبي ﷺ من الإطار النظري ، إلى الاتباع العملي، وذلك لكي تستقيم حياتنا وفق منهج الإسلام الذي أنزله الله لتحكيم حياتنا، لا لكي يكون مجرد شعار نتدثر به من غير أن يكون واقعاً يرشد سلوكنا ، ويقوّم حياتنا ، وفق ما أمرنا ربنا تبارك وتعالى ، إن الأمور التي نحتاج فيها إلى الاستمساك و الاقتداء بمنهج النبي ﷺ كثيرة تشمل كل حياتنا ، وهذه الوريقات لاتسع لكتابتها ولكن نسلط الضوء على جانب من الجوانب المهمة في حياتنا ، وهو التعامل في بيوتنا ، فنحن أحوج ما نكون إلى هذا المنهج مع فساد تعاملنا مع بعضنا ، فالدين معاملة مع الله ومع النفس ، ومع سائر الخلق ، لذا فالواجب علينا

([27]) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر(1964م) الجامع لأحكام القرآن، ج5، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ص97.

([28]) ابن قدامة، محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد(1994م) الكافي في فقه الإمام أحمد، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، ص81.

([25]) سورة البقرة، ص 228.

([30]) أحمد علي طه ريان، فقه الأسرة، ص 186.

([31]) أبو مصطفى بن العدوى، فقه التعامل بين الزوجين، مرجع سابق، ص37.

([32]) سورة الأحزاب، الآية 21 .

معرفة منهجه ﷺ في تعامله مع أهل بيته ومع الخلق لنتأسى به، فتتصلح علاقتنا الزوجية والأسرية والاجتماعية[33].

قبسات من بيت النبوة:

فمن صور تلطفه ومداعبته مع نسائه عليه الصلاة والسلام، ما ترويه لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت : (خرجتُ مع رسول ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبُدن ، فقال للناس: "تقدموا" فتقدموا، ثم قال لي: "تعالي حتى أسابقك" فسابقتُه فسبقتُه، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنُت ونسيت، ثم خرجتُ معه في بعض أسفاره، فقال للناس :" تقدموا" فتقدموا، ثم قال :" تعالي حتى أسابقك" فسابقتُه فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول:"هذى بتلك " [34] .

فحُسن العِشرَةُ مطلوب، والترفيه والترويح لكل أفراد الآسرة بين الحين والأخر مطلوب أيضاً . كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أحوال النبي ﷺ في بيته، كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا مع نسائه؟ قالت:كان يكون في مهنة أهله- تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة ، وفي رواية ، كان بشراً من البشر يخيط ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه [35] ، وكان كرجل منكم لنسائكم ، إلا أنه كان أكرم الناس خُلقا، وأبين الناس، ضاحكاً بسّاماً [36]ولا عجب أن يكون ﷺ كذلك فهو القائل :"إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيركم خيركم لنسائهم" [37] ، ولم يكن النبي ﷺ في بيته يأنف من شيء مما يأنف منه بعض الأزواج في زماننا هذا، ويرونه قادحاً بالرجولة، وغير متناسب مع مقامها، فيتركون حتى خدمة أنفسهم في البيت، ويأنفون من مساعدة زوجاتهم في أعباء المنزل، فهؤلاء نذكرهم بحديث أم المؤمنين عائشة في وصفها ما كان يصنعه النبي ﷺ في بيته لكي يحذوا حذوه ويقتدوا بهديه ويسيروا على نهجه [38] .

ومن حُسن لطف النبي ﷺ ما صنعه مع عائشة حين جاء الأحباش، ليلعبوا في المسجد بحرابهم ، تقول السيدة عائشة: كان الأحباش يلعبون بحرابهم ، فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر ،فما زلت أنظر حتى كدت أن أنصرف [39]، وتعقب عائشة رضي الله عنها على هذا الهدي الجميل بدعوة المسلمين للتأسي به عليه الصلاة و السلام [40].

فقد كان يجالس نساءه ويستمع لهن وإلى قصصهن. ومع هذه المعاشرة الطيبة، والخُلق الحسُن والمعاملة الكريمةلا يتوانى عن نصح نسائه وأهل بيته وحثهن على طاعة الله عز وجل والإكثار من العبادة وفعل الخيرات[41] .

السماحة في المعاملة:

ما زال النبي ﷺ يعطينا الدروس والمُثل العليا ويوصي مرة تلو الأخرى بحُسن عِشرَة النساء، وحُسن التعامل معهن، ومراعاة الاختلاف في طبيعة جنس الذكورة والأنوثة، وأيضاً اختلاف النساء في طبائعهن . ولن يفوتنا هنا التنبيه على حال تضطرب فيها كثير من النساء، فيحصل فيها ما قد يؤدي إلى نفور وجفاء، وهي حال الحيض والحمل مما ينعكس ذلك في تغير مزاجهن .

([33]) منقذ بن محمود السقار، الدين المعاملة،مرجع سابق، ص 9.

([34]) محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، مسند الإمام أحمد ، ج6 ص264.

([35]) صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب :كيف يكون الرجل في أهله ؟ ج3ص145.

([36]) منقذ بن محمود السقار، الدين المعاملة، مرجع سابق، ص11.

([37]) سبق تخريجه ص 3.

([38]) منقذ بن محمود السقار، الدين المعاملة، مرجع سابق، ص11.

([39]) صحيح البخاري ، كتاب النكاح، باب : حسن العشرة مع الأهل ، ج2 ص582،حديث رقم 5190.

([40]) منقذ بن محمود السقار، الدين المعاملة، مرجع سابق، ص24.

([41]) أبو مصطفى بن العدوى، فقه التعامل بين الزوجين، مرجع سابق، ص52.

هنا نتعرف ونشاهد نموذجاً من صور الغيرة في بيت النبي ﷺ مع نسائه، وكيف تعامل رسول الله ﷺ مع هذا الموقف الحرج؟.

كان النبي ﷺ يجلس عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام إلى رسول الله ﷺ وهو في بيت ضرتها ، فتغار الزوجة صاحبة البيت ، فتضرب يد الخادم ، فتسقط الصحفة من يده وتنفلق ويتناثر ما فيها من طعام . وقبل أن نسترسل في معرفة ردة فعل رسول الله ﷺ ومعه أصحابه تجاه هذا التصرف المذموم من زوجته التي غارت من ضرتها.[42].

لم يغضب نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، فما صنعه؛ فقد جمع فلق الصحفة ثم جمع الطعام الذي كان فيها وهو يردد ويقول: "غارت أمكم، غارت أمكم"[43]، لينتهي الموقف بلطف ويسر، لم يطلِّق ولم يشتم ولم يسخط ولم يضرب ؛ لأنه كان يعلم أنها ما صدر منها نتيجة للغيرة ؛ ولأن عقلها كان محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة، وهكذا كان النبي ﷺ يحتمل غيرة زوجاته، ويرشِّد هذه الغيرة فلا يسمح بواحدة منهن أن تظلم أختها ، كان يقيم العدل بينهن ويكرمهن جميعاً[44].

التعامل بين الزوجين من خلال واقع المجتمع:

المشكلات الاجتماعية :

من الصعب جدّاً أن نفصل بين المشكلات التي تنشأ في بيت الزوجية وبين المشكلات العائلية ، إذ غالباً ما تتسحب هذه المشكلات من داخل البيت إلى المحيط العائلي أو إلى أقرباء كلٍّ من الزوجين ، كذلك المشكلات الزوجية غالباً ما تكون أرضية خصبة لتدخّلات الأهل والأقارب القريبين والبعيدين، وهذا ما يؤدّي إلى تعقيد الأمور وزيادة هوة الخلاف [45].

فالمشكلات الاجتماعية الناتجة عن الخلافات الزوجية أمر واقع لا يمكن تجاهله ، وهي سرعان ما تظهر عند حصول الخلافات داخل الأسرة، وهذا ما يدلّنا على أنّ وضع الأسرة مرتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً وقويّاً ، وهي تنشأ من عدم الاستقرار النفسيّ لكلا الزوجين، بحيث يعيشان في دوّامة من التوتّر النفسيّ، والّذي يعبّر عنه بالغضب من الوضع القائم، أو الغضب من الطرف الآخر، وهذا ما يسبّب لهما المتاعب من خلال الاصطدام مع الآخرين. وحدوث المشكلات الّتي تنبثق عن حالة عدم الاستقرار وانعدام الفاعلية في العمل والحياة. ولا شك أن تحقيق علاقة زوجية ناجحة هو غاية ينشدها جميع الأزواج ، وتختلف الطرق والتصورات حول تحقيق هذا النجاح ، ولكن تظل هنالك عادات اجتماعية غير مبنية على منهج ديني ؛ فهي أصل في اعتلال كثير من العلاقات الزوجية ، وهي سبب في قضايا نعيشها في واقع مجتمعنا.

المشكلات الاجتماعية من واقع المجتمع السوداني :

العادات والتقاليد هي أصل الظلم الواقع على كثير من النساء، وتستخدم تلك العادات والتقاليد كمبرر لارتكاب كثير من الممارسات ضدهن وحرمانهن من حقوقهن التي أقرتها الشرائع السماوية ،وتتعرض العديد من النساء لإساءة المعاملةالزوجية وإيذائهن وعدمإكرامهن، و ما نراه في المجتمعات الإسلامية اليوم، من مخالفات لهذه القواعد والأسس الواضحة، فما هو إلا خروج عن أحكام الشرع وصراطه المستقيم، وإن ما تعاني منه الأسر الكثيرمن المعضلات العائلية، ليس إلا نتاجاً سلبياً، لهذا البعد عن الظلال الظليلة الّتي يوفِّرها شرع الله تعالى ودينه القويم،فالأسرة السوية هي أساس الحياة الاجتماعية السوية، وهي أساس المجتمع المتكامل، ولا يخفى أن المجتمع ليس إلا مجموعة من الأسر

([42]) المرجع السابق ، ص17 .

([43]) صحيح البخاري كتاب النكاح ، باب : الغيرة ، حديث رقم 5225 ، ج2 ص590 .

([44]) منقذ بن محمود السقار، الدين المعاملة، مرجع سابق، ص 20، 22.

([45]) عبد الكريم زيدان(1993م) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ، ط1، ج4، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ص 175.

المتفاعلة، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، ولعل المشكلة الكبرى في المجتمعات المتقدمة صناعيًّا وتكنولوجيًا تتمثل في تفكك الأسر وتسيب العلاقات داخلها، وهذا هو ما دعا إليه العلماء والمصلحون إلى التركيز على ضرورة الحرص على بناء الأسرة على دعائم قوية، وتتضح هذه الدعائم بشكل واضح في التنظيم الإسلامي للأسرة [46].

ففي مجتمعنا السوداني نلاحظ أن هنالك ارتباطاً وثيقاً بين الزواج والطلاق وعادات المجتمع في السودان، وعدم استصحاب المعنى الشرعيفي حل الخلافات الزوجية، فمثلاً عند حدوث الطلاق نلاحظ أن الزوجة المطلقة تخرج من بيت الزوجية أوقد يأمرها الزوج المطلِق بالخروج من بيته ، ولكن الله سبحانه وتعالى نهانا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [47] لأن مكوثها في بيت الزوجية في فترة العدة في الغالب تكون سبباً للمراجعة ولعل ذلك الغاية من إحداث الأمر الذي أشارت له الآية الكريمة. فيجب ان لا تخرج ولا يخرجها الزوج من بيت الزوجية ! إلا بعد انقضاء العدة أما إذا كانت هي حاضنة فتظل مقيمة فيه، فذلك فيه مخالفة شرعية وهذا نموذج سلبي من العادات السالبة في مجتمعنا .

أيضاً فمن هذه العادات في مجتمعنا ، يعتقد بعض الرجال أن يدخل على الزواج بفهم أنه مكسب ولا يتقبل كثيراً فكرة أن المرأة شريك له في هذه الحياة الاجتماعية،وأن لها شخصيتها المستقلة ، وهو يرى إنما هي تابع له ! ربما يتفهم أن تشاركه مسؤوليات الحياة المختلفة ،ويرى بعضهم أن القوامة سيف مسلط على المرأة وسلب لحقوقها وتهميش شخصيتها [48].

كذلك بعضهم لديه أزمة في التعبير عن المشاعر، أو المدح والثناء والشكر والدعاء؛ لأنه لم يجد تربية أسرية تفييده لتلقي تلك المهارات وفنون التعامل مع الزوجة بما يرضي الله ، كذلكعدم الإلمام بالمعرفة الكافية عن هذه العلاقة ،فهو لم يُدربويزود بالإرشادات التي تعينه على تخطي الصعاب التي تواجهه في حياته الزوجية ،فهو يقدم على الحياة الزوجية دون سابق معرفة، ولذلك تحدث الاخفاقات وينصدم بالواقع. كذلك الزوجة لم يتم توصيتها و تدريبها على المهارات الزوجية التي تستطيع بها أن تتدارك المواقف الصعبة التي تطرأ على حياتها الزوجية ، وكيف تتعامل مع زوجها بالحُسنى دون عناد، كذلك عدم منحها الثقة ومساحة للتعبير والادلاء برأيها وإعطائها كينونتها؛ لذلك فأنه يشتط أحياناً في سوء خُلُقِه دون رقيب؛لأنه يعلم أن الزوجة تتستر عليه خوفاً من الألسنة الشامتة ؛لأنه تمت تنشئتها على التحمل والتضحية والتستر على الرجل، حتى ولو كان على حساب مشاعرها. فالتضحية جيدة طالما كان الطرف الآخر على علم بها ومقدراً لها؛ ولكن فإن التضحية بلا قيمة لا يجدر الاستمرار بها. أيضاً ما يحدث بين الزوجين من خلافات؛ فنلاحظ التركيز على المسائل بدلاً من القضايا الأساسية ودراسة خلفيات المشكلة، مثل حدوث المشكلات الصغيرة الناتجة عن سوء التفاهم التي يجب ألا تكون سبباً في شرخ العلاقة بينهما ؛لأنها في الغالب لا تمثل الأسباب الرئيسة مثل عدم القيام بالواجبات والحقوق وتقدير واحترام الزوج وحُسن التبعل واكرام الزوجة وصونها ومعاشرتها بالمعروف، وهذا ما دعا إليه الشرع الحنيف.

نلاحظ كثيراً من المشكلات الاجتماعية التي تحدث في مجتمعنا السوداني ؛ هي في الغالب تكون ناجمة عن عدم إلمام كثير من المقبلين على الزواج بكنه الحياة

([46]) السمالوطي، نبيل(1998م) بناء المجتمع الإسلامي، ط3، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ص77.

([47]) سورة الطلاق، الآية 1.

([48]) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (1412هـ) في ظلال القرآن ،ج1، ط17، دارالشروق،بيروت،القاهرة، ص 652.

الزوجية، ولعدم واقعيتهم! فالتصورات الخاطئة أو الخيالية عن الحياة والمستقبل ومسايرة الفكر الغربي المغاير للفكر الإسلامي تُعد من المشاكلات التي غالباً ما تعترض الزوجين، فالشاب والفتاة أحياناً كثيرة يعيشان في عالم من الأحلام الوردية، ويتصوران أنَّ المستقبل سيكون جنَّة وارفة الظلال كما في القصص الخيالية الذي ساهم الإعلام في بناء هذا التصور بصور متعددة وكثيرة بعيدة عن واقعنا المعاش، لذلك نجد أن ارتفاع مستوى التوقعات من الزواج يسهم في إحداث أول الصدمات في الحياة الزوجية، فحين ترتفع الآمال،يكون الاحباط وخيبة الأمل من أكثر الاحتمالات وروداً وأكثرها إيلاماً ،حتى إذا دخلا دنياهما الجديدة باحثين عن تلك الجنّة الموعودة ؛فلا يعثران عليها، فيلقي كل منهما اللوم على الآخر ، محمّلاً إياه مسؤولية ذلك الفشل، لتبدأ بعد ذلك فصول من النزاع المرير الذي يُفقد الحياة طعمها ومعناها، فكلٌ يتهم الآخر بالتقصير، لذلك تحدث الخلافات الزوجية . فيجب أن نتوقع حدوث المشكلات فهذا شيء طبيعي لاختلاف الطباع ووجهات النظر، ولكن يجب أن نتعلم ونتهيأ لمجابهة تلك المشكلات، ونعمل على حلها والتحصن منها قبل وقوعها، بدلاً عن رفع مستوى التوقعات وانتظار السعادة دوماً، فإن تحقيق تلك السعادة الناتجة عن التفاهم والتنازل يتطلب من الطرفين الكثير من العمل لتحقيقها، ولنجعل ذلك في السنوات الأولى للزواج، بدلاً من ارجاء ذلك حتى تظهر مشكلات أكبر ويظهر معها الضغط النفسي الذي ينتج بالضرورة عنها.

فالمجتمع السوداني في مسائل الزواج يحكمه العُرف والعادات والمجاملات أكثر من الآداب الدينية ، فنظام الحياة في المجتمع السوداني؛ نظام الأسرة الممتدة والأهل والجيران والمعارف وغيرها، فانعدام الكينونة في الأسر السودانية هذه أول المشكلات التي يعاني منها الزوجين في بداية حياتهما الزوجية، ونجد ان الزوجة تعاني من عدم الشعور بحياة مستقلة في ظل ذلك النظام "الأسري المترامي الأطراف" كذلك نجد غالباً الأسر تهتم بالجانب الشكلي لإقامة العُرس دون الاهتمام بالجانب الجوهري من الزواج ، وعدم توصية العروسين وتعريفهما بما لهما وعليهما من حقوق وواجبات، وتزويدهما بالكتب المفيدة عن الحياة الزوجية وتدريبهم على المهارات الزوجية في إدارة المشكلات واستصحاب المعنى الشرعي معهما في مسيرة حياتهما الزوجية. وعند حدوث مشكلة استصعب حلها في ما بينهما فينبغي رفع المشكلة لذوي الخبرة والاختصاص في هذا المجال .

فكثير من المشكلات في واقع مجتمعنا السوداني يكون سببها تدخل الاهل في حياة أبنائهم وبناتهم الزوجية ؛ سواء كان من قبل أهل الزوج أو أهل الزوجة، فتدخل الأهل يلعب دوراً كبيراً في تقرير مصير بناتهم و أبنائهم ، خاصة إذا كان يقيم الزوجان مع الأهل، فمن الطبيعي أن يحدث بينهما اختلاف في وجهات النظر خاصة حديثي العهد بالزواج؛ وذلك لاختلاف الطباع والأفكار والميول والرغبات إلى أن تتقارب أفكارهما وتكون لهما القدرة على التكيف في ظل الظروف التي تحيط بهما ؛ غير أن الأمر لا يخلو من إمكانية حدوث خلافات وصراعات ومشكلات بين الزوجين وأن القلوب معرضة للتحول والاتجاهات فتتغير، فقد يحل الشقاق محل التفاهم لأي سبب من الأسباب[49]ولكن تدخل الأهل لحل المشكلة وإنهاء الخلاف قد يؤدي إلى تفاقم المشكلة مما يستصعب حلها، وقد يتراجع الزوجان ويتسامحان، ولكن نجد أن الأهل يشعرون بعدم الرضا لما حدث،أو قد يحرضون ابنتهم أو ابنهم على الانفصال انتقاماً لما حدث من الطرف الآخر دون النظر لعواقب الأمور، فلابد من الموازنة في معالجة القضايا بحكمة دون تعصب لطرف دون الآخر، وأن يكون تدخلهم إيجابياً وبناءً؛الهدف منه المحافظة على حياة زوجية مستقرة لأبناهم وبناتهم.

([49]) نبيل السمالوطي ، بناء المجتمع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص96.

فالخلافات الزوجية واقع تمر به غالبية الأسر ؛ ولكن مواجهة هذه الخلافات تعتمد على طبيعة الزوجين ومدى النضج الفكري والاجتماعي ودرجة التفاهم بينهما، فهناك الزوجان اللذان يحتاجان دائماً إلى طرف ثالث مقرب ، ولكن اعتماد الزوجين على أنفسهما في حل الخلاف فهذا أفضل ؛ لأن الزوجين في حالة الخلاف يعرضون دائماً الجانب السلبي من العلاقة، وبالتالي سيكون حكم الأهل على هذا الجانب دون ذكر الجانب الايجابي، وحينئذٍ سيكون حكماً غير سليم ، فيجب أن يكون تدخل الأهل في صالح الزوجين [50].

الدراسة التطبيقية:

حددت الدراسة الحالية عمل استبيان وتم تطبيقه على الأزواج والزوجات بولاية الخرطوم والذين مر على زواجهم أكثر من خمس سنوات . ولقياس فرضيات الدراسة التطبيقية تم جمع البيانات من عينة لمجتمع الدراسة بولاية الخرطوم استخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بإسلوب العينة باستخدام أداة جمع البيانات (استمارة الإستبيان) مقترح على عينة بلغت (85) فرداً من الأزواج والزوجات بولاية الخرطوم لقياس أساليب التعامل بين الزوجين وأثره على الاستقرار الأسري.

حيث قامت الباحثان بتوزيع (85) استبانة على المستهدفين. حيث احتوت الاستبانة على عدد من الأسئلة بحيث تكون الإجابات (يحدث ، أحياناً ، لا يحدث)وللخروج بنتائج دقيقة قدر الإمكان حرصت الباحثان على تنوع عينة أفراد الدراسة من حيث الآتي:

1/ حيث النوع.

2/ المهنة.

3/ المستوي التعليمي.

4/ مدة الزواج.

5/ العمر عند الزواج

1/ **النوع**

يوضح الجدول رقم (4-1) والشكل رقم(4-1)

الجدول (4-1)

التوزيع التكراري لأفراد الدراسة وفق النوع

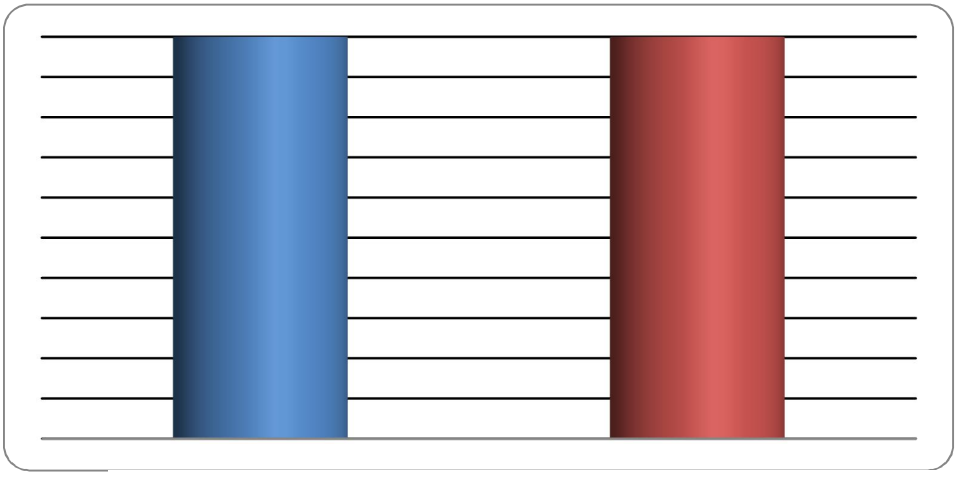

المصدر: إعداد الباحثتين ، من الدراسة الميدانية، برنامج Excel، 2016م

([50]) عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف(1988م) الزواج في ظل الإسلام، ط3، الدار السلفية، الكويت، ص116.

يتضح من الجدول أعلاه رقم (4-1) والشكل رقم (4-1) أن أفراد الدراسة متساوون من حيث عدد الإناث وعدد الذكور حيث بلغ عددهم الكلي (85) فرداً ؛ حيث هنالك (42) من الذكور بنسبة (50%) و(43) من الإناث وبنسبة (50%).

2. المهنة:

التوزيع التكراري لأفراد الدراسة وفق المهنة

المهنة	العدد
معلم	19
مهندس	4
موظف	25
محامي	2
ضابط شرطة	2
تاجر	11
اعمال حرة	4
ربة منزل	18
المجموع	85

3-المستوى التعليمي

التوزيع التكراري لأفراد الدراسة وفق المستوي التعليمي

المستوي	العدد
ثانوي	20
جامعي	47
فوق الجامعي	18
المجموع	85

4-مدة الزواج

التوزيع التكراري لأفراد الدراسة وفق مدة الزواج

مدة	العدد
1-10سنة	33
11-20سنة	20
21-30سنة	18
اكثر من 30 سنة	14
المجموع	85

5- التوزيع التكراري لأفراد الدراسة وفق العمر عند الزواج

العمر عند الزواج	العدد
14-20 سنة	25
21-28 سنة	33
29-36 سنة	17
اكثر من 36 سنة	10
المجموع	85

المصدر: إعداد الباحثتين ، من الدراسة الميدانية، برنامجspss ، 2016م

وصف الاستبانة

احتوت الاستبانة على قسمين رئيسين:

القسم الأول:

تضمن البيانات الأساسية لأفراد الدراسة، حيث يحتوي هذا الجزء على بيانات حول النوع ، والمهنة، والمستوي التعليمي، ومدة الزواج ،والعمر عند الزواج.

القسم الثاني:

يحتوى هذا القسم على عدد (42) عبارة طُلب من أفراد الدراسة أن يحددوا استجابتهم عما تصفه كل عبارة وفق مقياس ليكرت الخماسي المتدرج الذي يتكون من خمس مستويات.

وقامت الباحثتان بحساب معامل ثبات المقياس المستخدم في الاستبانة عن طريق معادلة ألفا- كرونباخ .

وكانت النتيجة كما في الجدول(4-7) الآتي:**الثبات والصدق الإحصائي لإجابات أفراد العينة على الاستبينة**

الجدول (4-7)

	معامل الثبات	معامل الصدق الذاتي
جميع العبارات	0.904	0.95

المصدر: إعداد الباحثتين ، من الدراسة الميدانية، برنامج spss 2016

يتضح من نتائج الجدول أعلاه أن معاملي الثبات والصدق لإجابات أفراد الدراسة على العبارات المتعلقة بفرضية الدراسة تدل على أن استبانة الدراسة تتصف بالثبات والصدق الكبيرين بما يحقق أغراض الدراسة، ويجعل التحليل الإحصائي سليماً ومقبولاً.

الخاتمة:

عرض ومناقشة نتائج الدراسة : فمن خلال الدراسة الميدانية التي قامت بها الباحثتان على واقع المجتمع سوداني و رجوعًا إلى نتائج الاستبانة التي تم إعدادها ، حيث تم فيها قياس مدى وعي مختلف الشرائح بأهمية هذه الاحتياجات، اتضحت نتائجه كما في الجدول أدناه ، حيث النسب تُمثّل المهم جداً للاحتياجات الأساسية للتوافق مع الشريك:

الاحتياجات الأساسية للتعامل والتوافق مع الشريك
الاحترام
التواصل
الحوار
الألفة
التسامح
الحميمية
الشفافية
الأمان
إدارة الأزمات
الشراكة الأسرية

فمن خلال قياس هذه الدراسة وجدت الباحثتان أن عدداً كبيراً من الذين تم عليهم القياس يفتقدون هذه الاحتياجات(ذكوراً وإناثاً) التي في الجدول أعلاه تنزل بنسبة 50%.؛ إذ يعتبر الاحترام أهم مقوم تتبني عليه كل هذه الاحتياجات، ويعد الاحترام أهم مقوّم لاستمرار الحياة الزوجية والأسرية وسبباً لاستمرار المودة والرحمة بين الزوجين وهو المقوّم الرئيس لحُسن العُشرة بينهما ، فقد يكون اللطف في المعاملة هو نتاج لاحترام العلاقة الزوجية، فكل هؤلاء المفحوصين أكدوا على ضرورة الاحترام المتبادل بين الزوجين ، فمن خلال هذه الدراسة وأهمية الاحترام تؤكد الباحثتان وتؤمنان عليه، فإذا انعدم الاحترام بين الزوجين، انهارت كل المقومات الأخرى فمن الاحترام القائم بين الزوجين يكون هنالك تواصل وإلفة في الحوار و حُسن إدارة للأزمات التي تطرأ على الأسرةلأن المودة والرحمة والسكينة بين الزوجين ، أساسها التوافق الناتج عن الألفة بينهما في جو من التسامحالمنبثق عنها الشفافية والصراحة في الأمور والقيام بالواجبات وإعطاء الحقوق مع الالتزام بدور الشراكة الأسرية ؛ حسث ينتج عن كل ذلك التوافق في ظل الأمان والاستقرار الأسري وهذا هو الهدف من هذه الدراسة.

أيضاً من خلال هذه الدراسة التطبيقية وجدت الباحثتان أن كثيراً من الزوجات ليس لهن المعرفة الكافية بحقوقهن الزوجية . ولقد وجدت هنالك حالات لزوجات غير راضيات من معاملة أزواجهن لهن وهي فئة الزوجات (ربات البيوت) ولاحظت الباحثتان أن الزوجة الموظفة أوفر حظاً في المعاملة الإيجابية . ولاحظتا أن الوضع الاقتصادي له أثر في العلاقات الزوجية ايجاباً أو سلباً. والعامل الاقتصادي حاضر في كثير من الخلافات الزوجية وهو سبب في عدم التوافق بين الزوجين.

أيضاً لقد قامت الباحثتان برصد حالات الطلاق التي فصل فيها القضاء من قبل محكمة الأحوال الشخصية بالخرطوم بسبب سوء المعاملة من الزوج لزوجته؛ وذلك بالإيذاء لها بالقول أو الفعل الذي لا يليق بأمثالها ولا يجيزه الشرع ؛هذا ما أفادني به مولانا عصام أبو علي حسن قاضي الدرجة الثانية بمحكمة الخرطوم للأحوال الشخصية؛ ولقد صرح بقوله أن أغلب حالات الطلاق التي تمت يرجع لسوء معاملة الزوجات من قبل أزواجهن ولعدم الانفاق؛ وبناءً عليه؛ يتضح لنا أن التعامل السلبي هو السبب الرئيس لعدم الاستقرار الأسري في مجتمعنا ، ويعزو ذلك للبعد عن المنهج الديني والمعرفة التامة بأسس التعامل الزوجي الذي ألزم وأكد على حُسن المعاملة بالمعروف، وأوصى بالنساء خيراً. وما أمر الله تعالى بإحسان معاشرة النساء في كثير من الآيات التي ذكرت في ثنايا هذه الدراسة .

فمن هذه الدراسة توصلت الباحثتان إلى أن كثيراً من الزوجات ليس لديهن معرفة بحقوقهن الزوجية التي أقرها لهن الشرع وذلك من خلال تصريحاتهن التي أدلين بها من خلال الاستبيان؛ وأنهن غير راضيات من معاملة أزواجهن لهن . وذكرن أن أزواجهن يرون أنهم لهم الفضل عليهن؛ وذلك لأنهم يقوموا بالإنفاق عليهن! وهذا يرجع لعدم معرفة الحقوق والواجبات الزوجية، وأن ما يقوم به الزوج من إنفاق على أسرته هذا ما ألزمه به الشرع ويؤجر عليه وليس تفضلاً منه؛ كما بالمقابل أن الزوجة ألزمها الشرع بحسن التبعل ورعاية الأولاد ودورها أعظم وهذا يعادل الجهاد ، فالحقوق والواجبات الزوجية متساوية؛ إذاً لماذا يحدث سوء معاملة من قبل الزوج ؟ فإذا عرفن هؤلاء الزوجات حقوقهن ولهن ما لهم وعليهن وكل منها يقوم بدوره كاملاً دون منٍّ أو أذى، وهذا من المعروف المأمور به ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [51] فبذلك يحصل الاستقرار الأسري من خلال أداء الواجبات وإعطاء الحقوق والمعاملة بالمعروف.

الخاتمة:

بحمد الله وتوفيقه نختم هذه البحث الذي يضع مقومات وموجهات يمكن الاستفادة منها في وضع أسس ومعايير وحلول من خلال صياغة رؤية مضيئة نرجو أن يستنير بها كل من الزوجين في مسار حياتهما الزوجية .

النتائج :

بناءً من دراسة التعامل بين الزوجين توصلت الباحثة من خلال ما أجرته من تحليل إلى عدة نتائج أهمها :

1. إن المدقق في مجال العلاقات الزوجية لحياة النبي عليه الصلاة والسلام الزوجية، نجد أن هناك معاني كثيرة نحن فيأمس الحاجة لها في واقعنا المعاصر في ظل المتغيرات الماثلة .
2. التعامل السلبي بين الزوجين يعتبر أكثر أسباب فشل العلاقات الزوجية؛ لأن العلاقات عموماً تتبني على الاحترام والتقدير وفي الحياة الزوجية بصفة خاصة.
3. إن وجود الأسرة المترابطة القائمة على أساس التعامل الحسَن بين أفرادها تضمن وجود استقرارها واستمرارها، وهذا هو الهدف من هذه الدراسة.

([51]) سورة البقرة، الآية 228.

4. توجد علاقة متبادلة ما بين أساليب التعامل الإيجابي والتوافق الأسري . وذلك ناتج عن تآلف اعتمد على المرونة والتنازل في التعامل وحدث بذلك التوافق .

5. هنالك علاقة ما بين أساليب التعامل السلبي والسلوك العدواني داخل الأسرة الذي ينعكس على استقرارها واستمرارها؛ لأن التعامل السلبي يسهم بصورة مباشرة في إحداث سلوك عدواني ينتج عنه عدم توافق.

6.توجد علاقة ما بين التعامل السلبي وعدم الاستقرار النفسي .وبالمقابل التعامل الإيجابي يصاحبه رضى وارتياح نفسي .

7. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الزوجات والمتغير الوظيفي في التسلط والمعاملة السلبية من قبل الرجال ؛ إلا أن المرأة العاملة تعتبر أفضل حالاً.

التوصيات :

من أهم التوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة :

1. يجب الالتزام بالأحكام الأسرية التي شرعها الله عز وجل من محافظة على كيان واستقرار للأسرة، مع ضرورة اتباع منهج النبي ﷺ في التعامل الزوجي حتى تغدو الحياة الزوجية كما أراد لها الخالق عز وجل تنعم بالمودة والرحمة والاستقرار.

2. إنشاء مراكز لتوعية الأزواج والزوجات و الشباب والشابات المقبلين على الزواج لنشر التوعية بالتدريب والتثقيف بدور الأسرة ومهامها والتبصير بالحقوق والواجبات الزوجية ليؤدي كل منهما دوره ويعلم ما له وما عليه.

3. بيان وتعظيم دور الأسرة في تنشئة الأجيال تنشئة رشيدة على الأهداف المرجوة من الأسرة .

4. نشر ثقافة الإعتذار والاحترام والتسامح ؛ هذه الصفات تمثل لنا أهم أركان التعامل الإيجابي بين الأزواج وذلك من خلال برامج ومسلسلات إذاعية وتلفزيونية تسهم في الحد من حالات الطلاق التي تكون بسبب التعامل السلبي بين الزوجين .

5. أن يتناول الدعاة والمفكرون والأئمة وخطباء المساجد قضايا الأسرة من توجيه وإرشاد الناس على التمسك بالآداب الإسلامية التي تتعلق بالأسرة على وجه الخصوص.

6. أهمية أن يقنن الإعلام فيما يخدم الرؤية المُثلى للحياة الزوجية ، ونشر تعاليم الإسلام الميسرة للزواج، كذلك الحاجة الماسة إلى إعداد برامج توعوية خاصة بالحياة الزوجية والأسرية ، وكيفية تربية النشئ على القيم والمبادئ والأخلاق الحميدة ، وتعليمهم ما هو الحلال وما هو الحرام حتى يجتنبوه في ظل المتغيرات الحالية والانفتاح على الثقافات المختلفة وثورة التقنيات.

7. دعوة الشباب والشابات إلى الاختيار على أساس الدين والخُلُق وهذا يعتبر أهم مقومات الحياة الزوجية .

8.التيسير في مؤن الزواج والاقتصار على الأساسيات لإقامة حياة زوجية مستقرة .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

1. كاوجة محمدالصغير(2014م) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تمثلات التوافق الزوجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية والخلافات الزوجية، العدد 16، جامعة الجزائر.
2. البخاري، محمد بن اسماعيل(د.ت) صحيح البخاري
3. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (1983م) سنن الترمذي، ط2، ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
4. ابن ماجه، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني(د.ت) سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دارإحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
5. ابن حبان، محمد بن حبان(1993م)، صحيح ابن حبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، ط2، ج9، مؤسسة الرسالة، بيروت.

6. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (2009م) ، لسان العرب ، ط2، ج11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
7. ابن فارس، أبو الحسن بن فارس ابن زكريا(1991م) مجمع مقايس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الجيل، بيروت، لبنان.
8. شوقي ضيف(2005م) ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ، ط4، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة .
9. بطرس البستاني(2009م) ، باب العين ، ط1، ج6، دار الكتب العلمية ، بيروت.
10. منقذ بن محمود السقار(2009م) الدين المعاملة ، رابطة العالم الإسلامي.
11. أبو مصطفى بن العدوى(د.ت) فقه التعامل بين الزوجين، مكتبة مكة طنطا ، مصر.
12. المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج الدين(1256هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط1،ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
13. مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم.
14. أبو مصطفى بن العدوى (د.ت) فقه التعامل بين الزوجين ، مكتبة مكة طنطا ، مصر.
15. الدعوة وأحوال المسلمين – الأسرة ، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية .
16. الطبري، محمد بن جرير(2000م) جامع البيان في تأويل القرآن ، المحقق: أحمد محمد شاكر،ج8، ط1، مؤسسة الرسالة.
17. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر(1964م) الجامع لأحكام القرآن، ج5، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة.
18. ابن قدامة، محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد(1994م) الكافي في فقه الإمام أحمد، ط1، ج3، دار الكتب العلمية.
19. أحمد علي طه ريان ، فقه الأسرة، د.ن.
20. عبد الكريم زيدان(1993م) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم ، ط1، ج4، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
21. السمالوطي، نبيل(1998م) بناء المجتمع الإسلامي، ط3، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.
22. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (1412هـ) في ظلال القرآن ،ج1، ط17، دارالشروق، بيروت، القاهرة.
23. عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف(1988م) الزواج في ظل الإسلام، ط3، الدار السلفية، الكويت.